



جمالية الشكل وتجسيد الهوية في رواية الأطفال " منقذ اليعربي لجاسم محمد صالح أنموذجا.

Aesthetic form and incorporating indentity

Roman of children « monkid alyaarobi » of Jassim Mohammed Saleh

د. نورة الصديق * ، جامعة مولاي سليمان – بني ملال

nora.seddik92@gmail.com

تاريخ التسليم 2021/11/12 تاريخ القبول 2021/12/12 تاريخ النشر: جانفي 2022

Abstract

Children's fictional literature is witnessing a development in its structures and contents, and it is known for a great transformation on many levels, in which everything that is cultural, artistic and aesthetic overlaps with what is social, political and economic... to be realized in it as a distinguished literary work with distinctive characteristics and aesthetic and artistic values, interacting with the aesthetic heritage and the narrative genre, The novel becomes furnishing its worlds with rhetorical and poetic aesthetics, and its structures are dominated by various formal techniques, human, cultural and social issues, as well as identity, nationalism and belonging... Thus, the novel presents different perceptions and a special aesthetic vision, through a new engineering, and a refined language that weaves events in a time pulsing with pain at an intersection with the old time, to achieve for the child reader a narrative and cognitive pleasure

Keywords : Children's literature, aesthetics, form, identity.

المخلص

يشهد أدب الطفل الروائي تطورا في بنياته ومضامينه، ويعرف تحولا كبيرا على مستويات عديدة، فيما يتداخل كل ما هو ثقافي وفني وجمالي بما هو اجتماعي وسياسي واقتصادي... لتتحقق فيه كعمل أدبي مميز خصائص مميزة وقيم جمالية وفنية، يتفاعل مع التراث الجمالي والنوع السردي، لتصبح الرواية تؤثت عوالمها بالجمالية البلاغية والشعرية، وتهيمن على بنياتها تقنيات شكلية مختلفة، وقضايا إنسانية وثقافية واجتماعية، كما بذلك تقدم تهيمن عليها الهوية والقومية والانتماء.. الرواية تصورات مختلفة ورؤية جمالية خاصة، من خلال هندسة جديدة، ولغة راقية تنسج أحداثا في زمن ينبض بالألم في تقاطع مع الزمن القديم، لتحقق للطفل القارئ متعة حكاية ومعرفية.

الكلمات المفتاحية:

المسرح ، المدرسة، المحتوى ، العواطف،

المجتمع

1- مقدمة:

عرف أدب الطفل تحوُّلاً لافتاً في بنياتها ومضامينها منذ النصف الثاني من القرن العشرين، ولا يزال هذا التحوُّل سائراً في طريقه يشق مساره في تطور مستمر، ذلك أن المتأمل في الخطاب الروائي الخاص بالطفل في الآونة الأخيرة يلاحظ هيمنة خطاب الهوية والقومية والانتماء ومختلف القضايا الإنسانية على الرواية العربية التي ارتبطت ظهورها في العالم العربي بتطوُّر الاتجاه القومي، وبعرض القضايا الثقافية والاجتماعية للإنسان العربي، حتى أصبح الشكل الروائي هو أكثر ما يُطلب في الكتابة السردية، كهوية جديدة للرواية العربية؛ حيث أضحت الرواية تؤثر عوالمها بالصورة الشعرية واللغة المكثفة والوصف... كما تركّز على الشكل بدل المضمون، وفي هذا الإطار يلاحظ القارئ هيمنة التقنيات الشكلية، بالمقارنة مع الموضوع المتناول في السرد الروائي.

اخترت رواية "منقذ اليعربي" لجاسم محمد صالح، لدراستها وتحليلها من أجل إبراز جمالياتها الروائية ورصد خصوصيتها، من خلال الإجابة عنه السؤالين في هذه المقالة: أين تتجلى جمالية الشكل وسرديته في رواية "منقذ اليعربي" وماهي ملامح الهوية فيها؟

1. جمالية الشكل في الرواية:

ترتبط جمالية الشكل في العمل الروائي بمجموعة من العناصر التي تحقق سرديته، التي تكون حجر أساس لخصوصيته الجمالية والفنية، وبمثابة مبادئ تجسد في العمل الأدبي، وخصائص مميزة له، تتحقق بها القيم الجمالية الخاصة به، والتي تتمثل في الخطاب الأدبي في ارتباطه بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه... فيه يتفاعل مع التراث الجمالي في العصر الذي يبذل فيه عمله الروائي حسب تطور

مستوياته المختلفة وعلى جميع الأصعدة، كما يتفاعل مع نوعه السردى، سواء كانت الرواية تاريخية أو واقعية، وتتحدد هنا في الرواية الطفلية التاريخية، من خلال قراءتها نستنتج الأحداث والتحويلات التي طرأت على مجموعة من المستويات، يتداخل فيها كل ما هو ثقافي وفني وجمالي بما هو اجتماعي وسياسي واقتصادي...

إن الرواية عبارة عن بناء متكامل المعالم، تتشكل عبر معمار في محدد، وتصاغ في قالب مشكل يجذب القارئ لقراءته، عبر تقنيات وآليات محددة، ليسوي تركيبه على صورة معينة، تمكن الباحث من التعامل مع النص بعد قراءته من القيام بتصوير حول بناء عوالمه وإبراز كيفية تناول قضاياها والوقوف على دلالاته... إذن الشكل الروائي هو "مجموع التقنيات الموظفة والمتفاعلة في الخطاب لجعله قابلاً للتحقق في هيئة معينة تمكنا من التعامل معه وتلقيه وفق صورة خاصة"¹

في أي عمل أدبي تتفاعل فيه مجموعة من المكونات والعناصر التي يتشكل منها، تعمل على اتخاذ النص نوعية روايته وسرديته، وقدمت هذه الرواية للطفل مادة معرفية غزيرة في التاريخ والقومية والوطنية من خلال ترجمة واقع مدينة بغداد في عصر عانت فيه تحت ظلال الاحتلال المغولي. حيث قدم الكاتب روايته بأسلوب مبدع جميل وسلس، وبلغة متينة خالية من الحشو ومن الأخطاء النحوية والمطبعية، ، يبدع فيها ويرتقي بها لبلورة اللغة العربية، كما تزخر بمادة معرفية جديدة على الطفل، وهذا يعد مظهراً جمالياً في حد ذاته في محاولة منه لإقناع المتلقي واستدراج مشاعرهم للأحداث، وتنمية عقلية الطفل واستلهاهم من خلالها بعض الدروس والعبر التي سيتخذها قدوة في حياته اليومية.

1.1. السرد

تبتدئ الرواية بمقدمة تعريفية تقدم فيها ورقة تعريفية عن البطل "منقذ اليعربي"، عبارة عن تقرير يشير فيه إلى ترجمة لبعض لمحات من حياته، وتكشف عن بعض أسرارها، تسهم في تشكيل بنيات النص، إذ تبتدئ بتقرير عن شخصيته وأفكاره وانشغالاته، "منقذ اليعربي حداد من أهالي بغداد... ماهر في عمله... يساعد الناس الذين لا يملكون المال... لا يعمل شيئا غير صناعة الأسلحة و السيوف... لا يعرف من الدنيا شيئا غير وطنه وشعبه" ² حيث يروي الراوي معلومات عنه وعن سلوكه ومعاملاته وأفكاره التي تنصب كلها في حبه لوطنه، وبذل الجهود للدفاع عنه مسخرا حرفته اليدوية في صنع الأسلحة من أجل الوطن. وهذا التقرير بمثابة مقدمة للنص، لتليها قصة الراوي ليفسر للقارئ بطولة هذا البطل وتجلياتها منذ إرهاباتها الأولى عند قدوم المغول إلى نيل النصر على الأعداء.

تقدم الرواية مادة حكاية تروي قصة "منقذ اليعربي" الذي يشتغل حداداً يصنع السيوف والرماح التي ستكون فيما بعد كعنصر فاعل وعامل مساعد في مواجهة المغول المحتل بالاتفاق والتعاون مع رجال مدينته، وهذا يكشف للمتلقي صورة البطل في علاقاته مع السكان، ويمثل هذا توطئة للقصة.

وفي تنامي أحداث الرواية التي تحكي عن احتلال بغداد من قبل المغول المتوحشين بعد هجومهم وحرقها وتدميرها، هذا الحدث يمثل نقطة تحول للأمة العربية من حالة السيادة إلى حالة الذل والتخلف والعبودية وتمزق كيان الأمة وتشرداها، وعلى إثر هجوم المغول وما خلفه في أوصال المدينة، قام "منقذ اليعربي" الرجل الوطني الحداد بتحذير الخليفة الذي لم يكثر لتحذيره، ولم يحسن رعاية رعيته، وحدث ما حدث للمدينة من تدمير من طرف المغول، فاستعان بأبناء المدن

العربية لمساعدته في دحر خطر المغول الذين توغلوا في كل المدن العربية التي تنتظرها الولايات إن لم تتضامن وتتحد من أجل مقاومة العدو الغاصب، فوافق الجميع معه والتقوا المغول في معركة "عين جالين" فكان نصر الأمة العربية على أعدائها الطامعين، ومن خلال بناء الرواية فهذه القصة بمثابة المرحلة الثانية التي يشرح فيها الراوي ويفسر ما جاء في المقدمة.

وفي خاتمة السرد يروي السارد ما آلت إليه الأوضاع في المدينة بعد انتهاء الحرب، وخروج العرب بانتصار ساحق على المغول، إذ بعد أن عاد منقذ اليعربي إلى بغداد مع أبنائها الذين ضحوا من أجلها، فكر أهلها أن يجعلوا منقذ اليعربي حاكماً عليهم مكافأة له وتكريماً لجهوده الجبارة وتفانيه في تحرير المدن إلى جانب إخوته العرب، حتى تحرروا من قبضة المغول، إلا أنه رفض ذلك بعد البحث عنه، والعثور عليه في ورشته عائداً إلى مزاولة مهنة الحدادة في دكانه القديم كسابق عهده، لأنه مواطن أبيّ يدافع عن أرضه ويضحي من أجل وطنه أعلى من كل شيء.

يجد المتلقي نفساً أمام ثلاثة مراحل في بناء هذه الرواية، يمكن ترتيبها وفق ما يلي:

1. تقرير: مقدمة الرواية (الصفحة الأولى).
2. سرد قصة منقذ اليعربي: ابتداء من ص 2 إلى ص 8.
3. تقرير عن إعلان الفوز بالحرب ص 9.
4. سرد واقع المدينة بعد الحرب، ص 10.

من خلال بناء الرواية، يبدو أن المقدمة تؤدي إلى سرد الأحداث متوالية وتعرضها في قصة شيقة، تصور أجواء الحرب بين العرب والمغول، مسك ختامها النصر والاعتراف ببسالة وبطولة منقذ اليعربي، والمتأمل في هذا البناء يجده خطياً في تصاعد مع الأحداث، لكن في التقرير الأخير يروي السارد عن انتصار أبناء بغداد على

المغول، ليعود بعد ذلك لوصف المدينة بعد الحرب، وفرح السكان بهزيمة العدو وطردهم من أراضيهم، ووصف أجواء استقبال "منقذ اليعربي" وجنوده والترحيب بهم، ورد الاعتبار له والاعتراف بجميله من خلال اقتراحهم له أن يكون خليفة عليهم تثمينا لمجهوداته القصوى من أجل استقلال المدينة وحريتها، لكن كان رده الرفض وفضّل العودة إلى عمله الأصلي، ليجد المتلقي نفسه أمام بناء دائري، بدأ بالتقرير، وانتقل إلى السرد، ليعود إلى التقرير ثانية، يقول الراوي "لنترك موضوع منقذ اليعربي ورجاله، ونرجع إلى بقية القصة ونتابع حكاية دخول المغول إلى بغداد..."³ ويختم الرواية بالسرد متحدّثا عن البطل ومواجهته المغول مع رجاله، مذيلا إياه بتقرير أخير يقفل به الرواية، أي أن التقرير يولد السرد الذي يتلوه التقرير، وبعد ذلك يليه السرد، وهي كبنيات ساهمت في الوقوف على جماليته من خلال تجميع مفردات ومقاطع وبنيات موزعة لتشكيل القصة وفق المراحل السابقة.

إذن تقدم الرواية بنيات نصية متنوعة، تبدأ بمقدمة للتعريف بالبطل كبنية نصية أولى، يليها مشهد استعداد منقذ اليعربي مع رجاله لمواجهة المغول بتجهيز الجيش وصناعة الأسلحة الخاصة لذلك، بعد ذلك يتبعها الراوي ببنية نصية "حصار المدينة" الذي دام خمسين يوما بمعاناته ومآسيه... وتتسلسل الأحداث إلى بنية نصية أخرى وهي زيارة البطل مع رجاله للخليفة في القصر الذي انهمك في اكتنازه للفضة والذهب دون الاكتراث لأمن المدينة التي يهددها الخطر المغولي، تليه بنية نصية "مواجهة المغول من كل سكان المدينة رجالا وشيوخا ونساء وأطفالا حتى غرقت المدينة في الخطر المغولي، لينسحبوا أهل المدينة بعد أن حمي وطيس الحرب بأمر من البطل للاستعداد في اليوم التالي لمتابعة المعركة، حيث تتخللها بنيات أخرى كمحطة أساسية في سرد الراوي ووصفه للمعركة المندلعة بين الطرفين، حتى توجوا بالنصر المكين، ويكشف لنا هذا الترتيب التصاعدي على مستوى القصة وتردد الراوي بين

السرد والتقرير عن البعد الدائري للبنىات النصية في الرواية، الذي ساهم في تنسيق الحكاية وتمكين بناء عوالم بجمالية بالغة، بذلك وُفق الكاتب في رسم ملامح مدينة بغداد ووصف أوصالها وواقعها تحت الاحتلال المغولي وعاداتها وطقوسها ومعتقداتها، وترجمة عوالمها الواقعية، وكذلك ترجمة فكر وذهنية مجتمعتها الأبّي، من خلال رصد فترات من حياة البطل خاصة مقاومته للمغول، وإبراز دوره الفعال في نيل المدينة استقلالها وحرّيتها. وقد وظف الكاتب ضمير الغائب وهو يحكي عن البطل وعن قصته وبعض الوقائع في مدينته ومهنته وأعمالها ومجهوداته في سبيل الدفاع عن الوطن، وأحيانا يستعمل ضمير المتكلم في الحوار بين الشخصيات لتوضيح ما خفي من القصة...

يلاحظ القارئ أن هناك علاقة تفاعل بين السرد والتقرير في البنّيات النصية المبلورة لأحداث الرواية، حيث في السرد يروي الراوي القصة، وفي التقرير يوضح ما غمض فيها، ويشرح ويثير الانتباه إلى بعض النقاط الكامنة في السرد، ويكون ذلك في تناوب مستمر حتى تنتهي القصة، والمتأمل لهذه المشاهد يدرك أفقا من الاحتمالات التي تعمل على خلق الرواية، إذ يتنامى هذا الأفق عبر نسيج الفضاء كله، إذ يشكل الكاتب نصه السردى عبر نمطين مختلفين في شكل السرد وبنية الدلالة، فهما يتداخل الخط السرد المستقيم يجسد ما حدث في الواقع المعيش، وتارة في خط متعرج يجسد الواقع النفسي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي...وهي تقنية روائية جسد بها الكاتب إشكالية صور ومعاناة الذات الإنسانية في علاقتها بالسلطة وبواقعها الذي يعترّيه الغموض واللبس...

2.1. الذات والآخر:

تحمل الرواية دلالات خاصة ومحلية، تؤطر المكونات التي تنبني عليها الرواية: أ. الراوي: يروي في النص قصة منقذ اليعربي، ويكشف لنا أسرار شخصيات الرواية من البطل والخليفة وهولاكو... يخضع لشروط اجتماعية أشد عدوانية وتسلط، وهذا شأن الإنسان العربي الذي يعاني بشاعة العرب، وعمق قهره في مجموعة من البقاع العربية... بلا حرية، بلا سلام، الحرمان من أبسط الحقوق الإنسانية وشظف العيش... إن الراوي على وعي بهذه الحقيقة المتأزمة، إذ في كل فقرات الرواية يبرز المعالم المعقدة في النظم والقيم والمعايير في الواقع العربي...

ب. الآخر: تبحث الرواية عن الآخر وعن الذات الأخرى، ذلك أن السرد يشير إلى الصراعات والحروب في الحاضر، ويستحضر الماضي ويكشف عن باطنه ويستلهم تاريخ المدينة بغداد، وبالتالي يستحضر باطن شخصية الإنسان العربي من خلال السرد على مستوى السلوك، ومن خلال السرد والتقرير وطريقة اشتغالهما في بناء الرواية على مستوى الشكل، حيث يجسد معاناة المجتمع العربي الهالكة لحياته، ويكشف عن هول المشاكل التي تكتنف حياة الكاتب وأهل المدينة، كما تكشف عن العمق المظلم الموغل الجروح، وعن أسرارهم الاجتماعية والسياسية، وبالتالي يحدد الإحساس الروائي بالشكل الجمالي المعرفي المحيط بالمجتمع، من خلال فتح المغاليق في الواقع المعيش، وتقديم صورة جمالية ومعرفية للإنسان عبر مجموعة من الثنائيات: حضور/غياب، حب/كراهية، سلم/حرب، اهتمام/إهمال، بناء/دمار، فرح/حزن، ربيع/صيف... وكذا يعري الكاتب الواقع المؤلم بين ثنايا هذا الجدل الجمالي والدلالي لبنية السرد، مبرزاً أنواع العذاب الإنساني المؤلم على وجه البسيطة، ويكشف القناع عن عنف وظلم وإرهاب بعض الدول التي غيرت ملامح الجغرافيا السياسية، وبعثت حدودها الهوية بالعدوان للسيطرة على العالم وعلى تاريخه. كذلك يكشف في الرواية عن صور التنظيم الاجتماعي للقهر العربي تحت لواء

أنظمة وطنية ترسخ صور القهر والتسلط واللامبالاة... وبالتالي تترجم الواقع العربي الحقيقي للطفل كما الواقع العالمي، وهذا يمنح للرواية دلالتها الجمالية والمعرفية وسط المشهد الروائي الطفلي العربي...

2. تجسيد سؤال الهوية في الرواية:

إذا كانت الرواية مادتها الخام هي اللغة، فإنها لا تنفصل عن الهوية التي لا صلة بالإيديولوجيا حسب جوليا كريستيفا "يقدم كل نشاط إيديولوجي نفسه في شكل ملفوظات منتهية من الناحية الإنشائية"⁴ وبعد أن ظل سؤال الهوية يجسد ملامح الهوية في الرواية العربية، كانت كتابات أدب الطفل تؤكد تعبير الرواية الخاصة بالطفل عن الوحدة، وتشير إلى مظاهر تنوع الثقافة العربية وغناها، وتتناول شظايا ملامح لهويات محلية متناثرة، كالتعريف بالذات وانتمائها الوطني من خلال إبراز اللغة واللهجات الدارجة، واستدعاء الموجودات المحلية في منطقة ما في الخطاب الأدبي بوصف ذلك جزءاً لا يتجزأ من تأكيد الذات وهويتها، ذلك أن ترسيخ الهوية للطفل من أهم الضروريات في أدب الطفل العربي، تعطيه البقاء والاستمرارية والخلود، لتعبيرها عن هويات الوطن أحداثاً وسلوكاً وتاريخاً وتراثاً....

وتتمثل هوية مجتمع ما في مجموعة من الصفات الجوهرية الثابتة التي يتصف بها، ويختلف بها عن غيره، فتمنحه التفرد والتميز عن غيره، وهذا يعني أن الهوية العربية التي سنبحث عنها في هذه الرواية المنتقاة من مؤلفات الكاتب محمد جاسم صالح هي الخصال والمميزات التي تجعل الطفل العربي متميزاً عن غيره، باعتبار الهوية في تفاعل مع التاريخ متأثرة في مراحلها في الأزمنة المتعاقبة بمرحلة الاستعمار والاختلال من طرف الدول الأجنبية، لتتأثر بذلك كل المستويات اللغوية والثقافية

والقيمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية على حد سواء... وترجمها الرواية لتتضمن أحداثا متواترة ضارية تتراوح بين الذاتي أو المحلي أو القومي، ويمكن أن نصنف تجسيد عناصر الهوية التي سنهتم بها في الرواية وتبيان مواضعها من المتن الروائي في الملامح الآتية:

1.2. لغة السرد

تعد اللغة مقوما أساسيا من مقومات الهوية العربية، والعربية الفصحى هي التي بنيت بها عوالم الرواية، التي ورد فيها السرد باستعمال ضمير الغائب "هو" ليكون الراوي خارجا عن القصة، وقد جاءت اللغة فصيحة متينة ورصينة، والمعجم في مفردات وحوار الشخصيات يستعمل الفصحى لأن هويته اللغوية هي الفصحى دون استعمال اللغة العامية، ليستنتج المتلقي توظيف الراوي للغة العربية للمحافظة عليها، وإغناء الطفل رصيده اللغوي والمعرفي وتوظيفه لمعجم غني في أساليبه التعبيرية، باعتبار اللغة العربية مقوما جوهريا في تكوين ملامح الهوية العربية في العراق وفي الوطن العربي...

2.2. الهوية الوطنية والقومية:

لقد حاولت الرواية أن تتفاعل أكثر مع هموم العرب وقضاياهم، ولاسيما ما يتصل بقضية احتلال العراق من طرف المغول، حيث تصف بغداد "فمياها العذبة أصبحت سوداء... وهواؤها المنعش أصبح خانقا من كثرة البيوت والأسواق المحترقة... أما شوارعها وأزقتها... فقد احمرت من كثرة الدماء..."⁵

منذ الأسطر والكلمات الأولى تتأكد الهوية القومية والتحمس لها "لا يعرف من الدنيا شيئا غير وطنه وشعبه، واتصالاته السرية بأبناء المدينة أثمرت وصار عنده في الخفاء رجال كثيرون مستعدون مثله أن يضحوا بأرواحهم من أجل ذرة من تراب الأرض... يتوجه إلى الأماكن الخفية ليلتقي برجاله وليوزع عليهم الأسلحة... وليتباحثوا في قضية الدفاع عن المدينة، وصد هجوم المغول عليها" ⁶ ذلك أن الهوية القومية تلتصق بقوة بالنضال والتضحية بالنفس وبكل غال ونفيس ضد الظلم والقهر والمعاناة، كموقف رفض للقهر الاجتماعي المقرون بالقهر المغولي.

تناول الكاتب مسألة الهوية القومية في البطل منقذ اليعربي عبر دراسة حسية وشخصية له، وللرجال المساندين منذ بداية ثورته لمواجهة الإرهاب والاحتلال والمجازر الدموية التي ارتكبتها المغول في بغداد التي سقطت على أيديهم، بوصف هذا السقوط همًّا أكبر من الهموم الشخصية التي تعاني منها ساكنة العراق والمناطق المجاورة أو أكثر من الهم القومي، حيث يمثل رمز الحرية، رمز بغداد، رمز العرب... إذ يعلن غضبه، ويثور ضد الاحتلال بصناعته للأسلحة اللازمة للمواجهة...

وقد أفرزت الهوية الوطنية والقومية مفردات خاصة بها منها ما جاء صريحا ومنها ما جاء مضمرا، نذكر بعضها للإثبات، منها: المغول، الجنود المسلحين، الجيوش العربية، العرب، بغداد، حلب، فلسطين...

3.2. اجتياز حدود المكان الجغرافي:

في الرواية عمل الكاتب على تجاوز الحدود الجغرافية للأوطان ذات الصبغة السياسية، على أساس تضمين الأحداث السياسية التي حلت بالعالم العربي في عمله الروائي دون تحديد لوطن واحد، وإن كانت العراق / بغداد هي المنطلق، وقد استلهم

أمكنة روائية لا تخضع للجغرافيا السياسية الآن، على سبيل المثال تفعيل اجتياز حدود المكان الجغرافي مثل دمشق، حلب، القدس، القاهرة...، فبغداد التي تعد أبلغ صورة للوطن مقرونة بمحملات التاريخ والوجدان والمقاومة والتي تقابلها خيانة المعتصم ولامبالاته، وتتجلى بوصفها المكان الروائي في الرواية التي تخضع ثقافات شخصياتها وتوجهاتها لهموم قومية عربية، إذ يراهن البطل والراوي منقذ اليعربي على القومية ودورها في توحيد الأمة العربية، "بدأ منقذ يعد عدتها للقتال، وأرسل رسله إلى حكام كثر من المدن العربية شارحا لهم الأمر ومبيناً لهم خطر المغول...داعيمهم في الوقت نفسه إلى الوحدة والتكاتف وجمع الشمل ومقاتلة الأعداء تحت قيادة عربي واحد، فكان له ما أراد"⁷ وبالفعل لم يبخل عليه حُكام كل من حلب وخماه وحمص ودمشق وبلاد مصر وفلسطين، بل أيّدوه فيما يريد "أرسلوا قواتهم كلها إليه لتكون تحت إمرته..."⁸

تتخذ الرواية من بغداد وهموم العراقيين مكاناً ومحوراً لها، وهذا تأكيد على تجسيد الهم الثقافي لهذا المجتمع الذي وصفه بصفات البطولة والنضال، والذي يحب وطنه ولا يهاب الموت أبداً، بمثابة أنصار لقائدهم منقذ اليعربي كحداد تمنحه هويته الزعامة والريادة والجهاد، وهنا تتحدد هويته من خلال ممارسته لعمله وسلوكه وثقافته، وتسخره من أجل الدفاع عن الوطن، وتبدو واضحة بشكل جلي عند توصله بأخبار تؤكد تقدم المغول وزحفهم إلى الغرب والمدن المجاورة، وقال لرجاله: "لا تهتموا لتقدمهم...أنا أعرف هذا، وسنهمهم شرّ هزيمة حالما نلتقي بهم، وسنجنّي ثمرة تدريبنا الطويل..."⁹ كإصرار منه في الكفاح ضد هذا المحتل القاهر، تصبح الهوية هدف وإلزام لإنقاذ الأمة العربية من الخطر الداهم لها، والتمسك وجمع شتات العرب، من أجل الكرامة والحلم بمستقبل زاهر وآمن "بعد أن اتحد العرب كلهم صاروا يدا واحدة تحقق لهم الانتصار الذي لا مثيل له"¹⁰...

4.2. الحنين إلى الماضي:

نظرا لما عرفته العراق من دمار وتمزق في أوصالها، وشبه إبادة لشعبها وللأرواح البريئة التي قدمت قربانا للحرب الضروس التي شهدتها تحت لواء الجيش الأمريكي، رحل الكاتب في عمله الروائي الذي تمثل في العهد المغولي إلى مدينة بغداد في الحقبة المغولية، ليكشف بعض ملامح الأبطال العرب المنتمين إلى تلك الفترة في الماضي، وليبحث عن هوية الزمن الذهبي الذي يمكن وصفه بالجميل والزاهر، والذي توج بالوحدة والاتحاد والبطولة، لذا جاء الحنين إلى صيغة الماضي في قالب يجسد رحلة البحث عن الأمان في الزمن الماضي، باعتباره نوعا من الحنين إلى الماضي، من خلال سرده لسيرة منقذ اليعربي البطولية، وتوظيفه احتلال جيوش المغول للعراق ومحاصرتها... وهذا يجسد منظور الكاتب في الحضارة العربية والحداثة، والإيمان بالوحدة والبطولة، كما يجسد رغبته في عودة الأقطار العربية إلى سابق عهدها، بدل الصراع فيما بينها وبقاءها مكتوفة الأيدي، لا تحرك ساكنا ولا تغير باطلا... لقد ارتهن الكاتب في روايته إلى الماضي لتمرير رسالته التي تكشف عن خيبات آمال تتكرر في الحاضر المؤلم وفي الواقع المعيش المدمر، وتشير إلى تشارك الهَمَمِ المحلي والعربي معاً حين جاء على لسان بطل الرواية: "هذه المعركة هي المعركة المكملة لمعركة بغداد... وأنها فاصلة فإما انتصار للعرب وهزيمة للمغول... وإما تنمحي كل المدن العربية من الوجود... وحتى اللسان العربي لا يبقى أحد يتكلم به بعد ذلك..."¹¹

5.2. توظيف التراث وهيمنة النماذج التقليدية:

وظف الكاتب التراث في عمله الروائي ولاسيما ما يتصل بالمرجعيات الأساسية في الثقافة العربية كالدين والعادات والحرف، ومن عناصره نجد:

أ. التراث الديني:

تحفل الرواية بعدد كبير من الإشارات الإسلامية وانعكاساتها على الفرد والمجتمع في المدينة من خلال الإشارة إلى دور الدين بوصفه المكون والقوة الفاعلة المؤثرة في تشكيل هوية للروائي العربي، إذ يبدو أثر الإسلام ديناً واضحاً من خلال الإشارة إلى صلاة يوم الجمعة حيث يجتمع المصلون: "بعد أن انتهت صلاة الجمعة... وقف أحد المصلين ليتكلم... إنه منقذ اليعربي..."¹² لكون يوم الجمعة يوم جمع المسلمين في المساجد للسمع إلى خطبتي الجمعة ولمعرفة الجديد في المدينة، والاطلاع على الأخبار والمستجدات بعد الصلاة، وللنظر في القضايا التي تؤرق المجتمع والتشاور فيها، لذلك اختار البطل منقذ اليعربي فرصة اجتماع سكان المدينة لإلقاء خطبة لينذرهم ويحذرهم بما ينتظرهم من هجوم وقهر المغول لهم وللنظر في القضية والاتفاق على خطط دفاعهم عن حوزة الوطن...

وهناك إشارات كذلك استلهمها الكاتب في مهارة، إذ ظهر تأثير القرآن الكريم على كتابته من خلال استحضار الآية الكريمة (الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)¹³، في قوله "...دخل غرفة الكنوز المليئة بالذهب والفضة والأحجار الثمينة..."¹⁴

ب. الحرف التقليدية:

تقدم الرواية واقع المجتمع العراقي وأهم الأنشطة الممارسة في تلك الحقبة في حياته اليومية، إذ تشير إلى مجموعة من الحرف التقليدية التي يزاولونها كالفلاحة والعطارة والملابس التقليدية، حيث يقول واصفا البطل: "لم يفكر... أن يزرع أرض تدر عليه الرزق الوفير... أو أن يبيع العطور والقماش والتوابل..."¹⁵ ، كما أشار إلى حرفة الحدادة التي يحترفها بطل الرواية، وله يرجع الفضل في إعداد العدة الخاصة بالحرب، يقول: "بعض رجاله يوزعون السيوف والرماح التي صنعها"¹⁶ وهي كأدوات حربية تقليدية وردها في الرواية كالمجانيق، والطبول، والسيف العربي، والرماح الطويلة المدببة...

ت. التراث العمراني :

يعد العمران مكونا من الثقافة الشعبية ورافدا من روافد الهوية، ويتجلى ذلك في موقف شخصية منقذ الذي دافع عن المدينة مع رجاله بعد استعداد المغول للهجوم عليهم، حين وقف على السور وأمرهم بحمل السلاح والدفاع عن المدينة: "بدأوا يتخذون مواقعهم الدفاعية على الأسوار والقلاع وقرب الأبواب، كل واحد ممسك بسيفه بقوة..."¹⁷ ذلك أن العمارة ببغداد أنشئت قديما، وكمعلمة تاريخية مهمة يجب الحفاظ عليها، باعتبارها جزء من الهوية العربية، هوية تنطق بالإبداع والعراقة والأناقة والحرية....

وقد ذكر الكاتب في الرواية مجموعة من المدن العربية التاريخية العريقة ذات حضارة عريقة خالدة إلى الآن، كأماكن جغرافية نالت نصيبها من الدمار من طرف الاحتلال الأجنبي منذ القدم، مثل دمشق، حلب، حمص، القدس، القاهرة... مع الإشارة إلى بعض مظاهر العمران في مدينة بغداد مثل قصر المعتصم بالله، بوابة

القصر المرصعة بالذهب والياقوت، و"أسوار المدينة قوية وعالية..."¹⁸ وكلها تميز الهوية العربية الأصيلة..

إن الرواية تكشف عن أهمية استلهاهم العناصر التراثية بوصفها مؤثراً في المنتج الأدبي، وكما أنه يغرف منها الأدباء في كتابة إبداعاتهم شكلاً ومضموناً، حيث يتفاعل النص في علاقاته بكل ما هو تاريخي وتراثي وديني... بتشكيله من جديد أو ترسيخ هذه الذاكرة التاريخية لتتجلى قوة الخلق وجمالية الإبداع والتخيل في بناء عالم متخيل مستمد من طياته عوالم حية جديدة بتوظيف أدبي جمالي..

إن الهوية في هذه الرواية من خلال العناصر التي تم التطرق إليها، كيان جامع لنسيج لغوي وفكري وثقافي وحضاري، حاولت هذه الدراسة الإمساك ببعض مظاهرها داخل السرد الروائي، عن طريق تحليل بعض المفردات والتعابير الواردة فيها، والكاشفة لعناصر الهوية في الخطاب السردى ...

4. خاتمة:

تتألف رواية "منقذ اليعربي" من بنيات نصية مختلفة يتداخل فيها السرد مع التقرير الذي أضفى على الرواية مسحة جمالية ومعرفة عميقة، وتجعلها ذات حبكة مسبوكية الصنع ومحكمة البناء، تحيط بعوالمها الروائية، تريد أن تقدم رؤية معرفية محددة يفكر فيها المتلقي بعد قراءتها، ويستحضر أحداثها ويتمعن في بنياتها الجمالية، باعتبار أن تداخل وتعلق السرد والتقرير فيها، يضفي جمالية خاصة يتلمسها القارئ/الطفل تعمل على تنشيط ذهن الطفل، وتحفيزه على التخيل والتفكير...

تقدم كذلك رؤية جمالية خاصة، من خلال تقنيات الكتابة التي اعتمدها وتوظيف اللغة الفصيحة والزمن الحاضر المؤلم في تناص مع الزمن القديم المقهور، لتقدم بذلك للطفل مادة معرفية غزيرة بطريقة فنية جميلة، كما تقدم له كذلك تصور الكاتب عن مختلف أفكاره المتشعبة عن الوطن العربي، والدين، والإنسان، وعن العالم، عن المدينة والسياسة... كلها تحقق للطفل القارئ قراءة شيقة، وممتعة حكاية ومعرفية.

تطرح الرواية شكلا روائيا معقدا ينفث على تصورات عديدة، إذ تطرح معاناة سياسية اجتماعية، ونفسية واقتصادية، تنبثق منها أشكالا جمالية معنية بالقلق الإنساني العميق على جميع الأصعدة التي تنظم نسيج الحياة، كما يطرح الكاتب من خلال هذا الالتباس المعرفي الجمالي معاناة إبداعه، قلقه تجاه مجتمعه المتأزم، واقعه الميؤوس منه، آلامه العميقة، يصورها في خلقه الفني عبر آليات إبداعه في أشكال جمالية خاصة، تخول للطفل تعلم اللغة الفصيحة وإغناء رصيده اللغوي والمعرفي، وتقدم له معلومات عن الشعوب القديمة وعن الأحداث الماضية في ارتباطها مع أحداث الزمن الحاضر المؤلم من خلال تجاورات وتقاطعات حوارية مع الزمن المقهور العريق في القدم...

فعلى كاتب أدب الطفل ترجمة الماضي للطفل الحاضر والجيل اللاحق في تناص مع الزمن القديم المقهور، وإحياء التاريخ العربي وترسيخ القيم الوطنية والمبادئ الدينية والهوية الثقافية من خلال إبداع غزير في الأجناس الأدبية يكون للطفل مادة معرفية غنية منسوجة بتقنية فنية جميلة، تضم تصورات مختلفة وأفكار وقضايا عن الوطن العربي، والدين، والواقع الإنساني، وعن العالم، عن العلوم والسياسة...

5. قائمة المراجع:

- ¹ سعيد يقطين، جمالية الشكل الروائي في الجزيرة العربية، علامات، ج 68، مج 17، صفر 1430هـ، فبراير 2009، ص 11
- ² جاسم محمد صالح، رواية منقذ اليعربي، ص 1
- ³ نفسه، ص 5
- جوليا كريستيف، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، ترجمة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1997، ص 38
- ⁴ جاسم محمد صالح، رواية منقذ اليعربي، ص 5
- ⁵ نفسه، ص 1
- ⁶ جاسم محمد صالح، رواية منقذ اليعربي، ص 7
- ⁷ نفسه، ص 7
- ⁸ نفسه، ص 7
- ⁹ نفسه، ص 9
- ¹⁰ نفسه، ص 8
- ¹¹ نفسه، ص 1
- ¹² سورة التوبة، الآية 34
- ¹³ جاسم محمد صالح، رواية منقذ اليعربي، ص 4
- ¹⁴ نفسه، ص 6
- ¹⁵ نفسه، ص 3
- ¹⁶ نفسه، ص 4
- ¹⁷ نفسه، ص 2
- ¹⁸